قيام المجلات وسقوطها

ليس بين قراء المقتطف الا من عرف مجلة « العلم العام » الاميركية من كثرة ما طالعوه من المقالات التي ما فتئ المقتطف ينقلها عنها الى العربية منذ عهد طويل . والمراد بالعلم العام العلم الذي تتاح موائده للعامة لانه مما يسهل عليهم تناوله كما يرى من بيانها الذي سننشره فيما يلي . والظاهر انها لم تفز بهذه الامنية امنية تقريب العلوم من افهام العامة بدليل انقطاعها عن الصدور في شكلها القديم من اواخر السنة الماضية وانقسامها مجلتين مختلفتين كل الاختلاف في مقصدها وشكلها . وقد اصدرت لذلك بياناً قالت فيه :

« آلت هذه المجلة على نفسها منذ بدء ظهورها سنة ١٨٧٢ ان تقوم بعملين مختلفين الواحد تقريب العلوم من مدارك الجمهور . والآخر نشر مقالات تتبع فيها تقدم العلوم وتشير بوجوه الاصلاح اللازم في دوائر العلم والتربية والاجتماع . وهاتان الغايتان عظيمتا الشان ولكن لما كان العلم يزداد اتساعاً وتشعباً كل يوم فقد ازدادت بذلك المصاعب القائمة في سبيل الجمع في مجلة واحدة بين الغايتين المشار اليهما

« في اوائل عهد هذه المجلة بالوجود كان مذهب الشيء والارتقاء لا يزال في مهده وقد انقسم العلماء فيه اسباطاً واشياعاً وكنا ننشر المقالات في مجلتنا من قلم داروين وسبنسر وهكسلي وتندل واشالهم فكان الناس يقبلون على قراءة تلك المقالات لصدورها من اولئك الاعلام أهل الحجة في العلوم الحديثة . وقد اصاب الذين عمّوا الثلث الاخير من القرن التاسع عشر عصر العلم وذلك لان العلم الطبيعي صار فيه سيراً حثيثاً ونزل اسمى منزلة من حضارتنا . وهذا السير يستلزم تقسيم الاشغال المختلفة والاخصاء فيها حتى يتيسر على المشتغل في فرع من الفروع ان يفهم الاشغال التي تجري في فرع آخر في حين ان الحواجز التي بينها اصطلاحية اكثر منها حقيقية اي انها حواجز مبانٍ لا حواجز معانٍ . ولا ريب ان الصعوبة التي يجدها الجمهور في فهم تلك الاشغال اعظم حتى لقد خيف ان يفقدوا الاهتمام بتقدم العلوم وتتبع سيرها . وحيث يعتمد العلم على الشعب لا غنى له عن ثقة الشعب وحسن انعطافه . وهذا يقتضي ان يكون هناك مجلتان بدل الواحدة اذ من اللازم توجيه الكلام ايضاً الى الذين يختلفون عن الجمهور في درجة فهمه واهتمامه

« وفي خلال الخمس عشرة سنة الماضية وجه محرر هذه المجلة همهُ الى تحريرها على قواعد

علمية سامية وفتح صدرها لكبار العلماء الذين يرومون بحث المسائل العلمية الرفيعة الشان . وقد كانت المجلة مجلة الجمهور بمعنى انها لم تكن خاصة بفريق ولا اصطلاحية وكان في وسع الادباء والاذكياء ان يفهموها ولكنها لم تكن مجلة الجمهور بمعنى ان جميع الطبقات يفهمونها وان مشتركيها يعدون بمئات الالوف . وكان يردها كثير من المقالات التي تصلح لمجلة من طراز آخر ولا ريب ان الجمهور يحتاج الى مثل هذه المجلة . فان مجلة كثيرة الصور موقوفة على تقريب العلم من اذهان العامة الجديرة بان يقبل القراء عليها سزيد الاقبال وبأن تحرر على قواعد تختلف عن قواعد المجلات العلمية البحتة كما تختلف المدارس الابتدائية عن الثانوية في اساليبها ومقاصدها

« لذلك نقل اسم هذه المجلة الى شركة تألفت لانشاء مجلة قريبة من افهام العامة اما المجلة الاصلية فصدرت من اكتوبر الماضي على مجاري عادتها وبشكلها المألوف ولكنها اتخذت لها اسماً آخر وهو « المجلة العلمية الشهرية » . وهذه القسمة الى مجلتين منطبقة على مذهب الارتقاء اذ يتسنى لكل منهما ان تطابق بين نفسها والبيئة المحيطة بها بأكثر مما تستطيعان لو كانتا مجلة واحدة فتخدم كل منهما العلم خدمة كبيرة في طريقتها »

وكانت شركة المجلة قد اسبقت هذا البيان ببيان آخر قالت فيه انها ما اقدمت على هذا الامر الا لانها كانت تخسر كل سنة عشرة آلاف ريال فلم ترَ من الحكمة والصواب الاستمرار على اصدارها واشارت الى بعض المجلات والصحف الاخرى في اميركا فقالت ان مجلة « العلم » الاسبوعية خسرت من اول صدورها الى الآن ٨٠ الف ريال وان مئة صحيفة او اكثر من الصحف العلمية في اميركا لا تفي دخلها بنفقاتها

اما المجلة المصورة التي اتخذت اسم المجلة العلمية فقد جاءتنا اجزاؤها حافلة بالمواضيع التي تروق الخاصة والعامة معاً وفي كل جزء منها اكثر من ١٥ صفحة مفعمة بالمقالات والفوائد المختلفة ولا تكاد تجد بينها صفحة خالية من الصور ففيه نحو ٣٠٠ صورة . هذا عدا الاعلانات المنشورة بين دفتيه في صدره وذيله وهي تملأ نحو ٩٠ صفحة اخرى منه . وثمن العدد ثلاثة غروش صاغ وقيمة الاشتراك السنوي ريال ونصف . وقد قالت ادارة المجلة ان الاشتراكات فيها تضاعفت في خلال ثمانية شهور فكانت ١٠٠٠٠٠ في بدء صدورها فاصبحت الآن ٢٠٠٠٠٠

اما مادة المجلتين فتنضح من المقابلة بين العددين الاخيرين منهما . ففي العلمية عشر مقالات في امثال المواضيع الآتية : توزع النباتات في كليفورنيا . قدم الانسان في اميركا

الشمالية شنغا والصينيون الارقام الكبرى والاعمال غير المتناهية (وهي مقالة رياضية) الفيتامين وطبيعته الكيماوية ومعناه الفسيولوجي (وهي مقالة كيماوية فسيولوجية كما هو ظاهر) الى آخر ما هناك من المقالات العلمية الصرفة

وفي الاخرى نحو مئتي مقالة وبذة بين كبيرة وصغيرة وهي مبوبة عشرين باباً منها الطيارات والاوتوموبيلات والزراعة والهندسة والكهربائية والجيولوجيا وتدبير المنزل والحرب الحاضرة والاختراعات والطب والجراحة والفوتغرافيا والراديوم وسكك الحديد وغير ذلك . ولا نحسبنا مغالين اذا قلنا ان كل مقالة وخبر وفائدة منها تكاد تكون مبينة برسم او صورة

ومما يجدر ذكرهُ في هذا المقام ما قالتهُ المجلة في آخر عدد ظهر منها قبل انقسامها مجلتين . قالت تحت عنوان « المجلات العلمية والجمهور » ما ترجمتهُ :

« اذا كانت البلاد جمهورية فالمجلات والصحف السيارة اللائقة بتربية اخلاق الامة من جميع طبقاتها وحملها على الاهتمام بالعلم وادراك قيمتهِ في ترويج خير الاوطان والنوع الانساني عامة شأن كبير جداً . واذا كان ملكية فلا غنى لها ولحكامها واشرافها واعيانها عن رعاية العلوم والفنون والآداب . ففي المانيا تدير الحكومة الالمانية مدارسها وجامعاتها ومعاهد البحث العلمي وتمدها بالاموال كما تعين المشروعات التجارية التي يطبق العلم فيها على العمل . وفي انكلترا يقف رجال الثروة نفوسهم على البحث العلمي و يتولون بعض المناصب من غير ان يتقاضوا اجوراً على ذلك . وفيها وفي فرنسا يجزى الباحثون والمنقبون على اتعابهم بالقاب ورتب يمنحونها

« وليس في الامكان جعل البحث العلمي حرفة قائمة بنفسها . ففي نظاماتنا الاجتماعية الحالية يجري العامل على كل خدمة يخدم بها فرداً واحداً او مجموعاً من الافراد ولكن خدمة المجتمع كلٍّ لا تؤخذ عليها اجرة في الغالب . فانهُ اذا فاز اصحاب الصحف او اصحاب معامل الذخيرة او ضباط الجيش باثارة حرب انتفعوا من عملهم هذا . واذا دافعوا عن السلام فبقي موطَّد الاركان نالهم الخسران . واذا استطاع المحامون حلّ العقد القانونية والاطباء تقليل اسباب الامراض اضاعوا بذلك مصالحهم المادية . واذا عمل جرّاح عملية سرطان فقد يتقاضى الف ريال اجرة عمل ساعة . ولكن اذا اكتشف طريقة جديدة للعمليات اصلح من الطرق المعروفة فقد ينتفع بعض الانتفاع ولكنهُ لا ينتفع اكثر من سائر الجراحين و يكون انتفاعهُ اقل من انتفاع المصابين بكثير . واذا اكتشف دواء للسرطان لا يعطى اجراً مالياً

مقابل اكتشافه هذا بل بالضد من ذلك ينتقد هو ورصفاؤه الجراحون وسيلة من الوسائل التي يعولون عيالهم بها

يرى من ذلك ان البحث العلمي وهو اعظم خدمة يخدم بها المجتمع الانساني ليس عليه أجر . وقد وكل في هذه البلاد الى الناس وتفوا بعض وقتهم على التعليم في المدارس والجامعات تنقلاً . وفي السنين الاخيرة سمت الحكومة والمعاهد ذات الاوقاف وارباب المصانع والمتاجر الى ترقية البحث العلمي على اساس تجاري فكان الربح عظيماً جداً . ولكن اذا اريد اطراد البناء على هذا الاساس بادارة الامة فلا غنى عن تربيتها حتى تنزل هذا العمل منزلته اللائقة به وتقدره حق قدره . ولا ريب ان نشر العلوم في المجلات والصحف هو افضل الوسائل لادراك هذه الغاية

ان المسألة معضلة . ذلك لان المدارس العالية والجامعات والمتاحف لا ينتظر منها ان يفي دخلها بنفقاتها حتى انك لترى المدارس الثانوية التي يعلَّم فيها اولاد الاغنياء قائمة على اساس الاعانات . ولو ان متحف التاريخ الطبيعي عندنا فرض رسماً على زائريه غلا منهم ولبات دخله من هذه الرسوم في سنة غير كاف لنفقاته في شهر . على ان الملاعب العادية التي تعرض فيها الحيوانات المختلفة تقوم بنفقاتها وتربح

اما العلم فمستهن في المجلات القصصية والصحف السيارة . وترى الصحف الصفراء وملاعب الحيوانات والصور المتحركة تقدم الى الجمهور ما يدفع مقابله عن رضى . ولا نمار جمهوريتنا بان هذه هي الامور التي يريدها الجمهور لان رغبة مئة مليون من السكان فيها دليل على تقدم عظيم في جنب ما كان يرغب فيه قبلاً

ولما رأت شركة هذه المجلة انها تخسر عشرة آلاف ريال في السنة لانها علمية محضة لم تزد من الصواب والحكمة الاستمرار على اصدارها

نعم ان هذه المجلة تستحق ان ينفق عليها عشرة آلاف ريال في السنة فوق دخلها بل تستحق ان ينفق عليها اكثر من ذلك كما تنفق البلاد على متحف التاريخ الطبيعي ثلثمائة الف ريال في السنة وعلى جامعة كولمبيا اربعة ملايين ريال ولكن لا ينتظر من شركة خصوصية ان تخسر من جيبها هذا المبلغ سنة بعد سنة الى ما شاء الله لاجل فائدة الجمهور . وكذلك كان الدكتور غرام بل والمستر هبرد ينفقان نحو ثمانية آلاف ريال في السنة على مجلة العلم . وفي اميركا اكثر من مئة مجلة مخصصة للمباحث العلمية المحضة وما من مجلة منها تكتسب ما يقوم بنفقاتها . على ان المجلات التي تكتسب في تطبيق العلم على العمل قد تقوم بنفقاتها

وذلك مما يقوي الامل بان الجمهور سيتدرج الى الرغبة في البحث العلمي المحض حتى تصير مجلاته تقوم بنفقاتها

وقد لا يحسن ان يطلب من الحكومة ان تساعد المجلات العلمية مباشرة بان تعين لها اعانات سنوية ولكن يجب ان يطلب منها لتساعدها على سبيل آخر وهو ان ترتب اعداداً كافية منها للمكاتب العمومية وان يطلب من كل الذين يعلمون فائدة هذه المجلات ان يشتركوا فيها حتى يكثر دخلها و بقي بنفقاتها . انتهى

فان كانت المجلات العلمية لا تقوم بنفقاتها في بلاد واسعة غنية مثل اميركا فيها اكثر من مئة مليون من السكان واكثرهم متعلمون متهذبون و يعرفون قيمة العلم وهم اغنى شعوب الارض فما تولك في بلاد مثل هذا القطر والقطر السوري . وقد يظن الاول وهلة ان المجلات العلمية رخيصة جداً في اميركا كالمجلات القصصية فلا بد ان دخلها بنفقاتها ولكن ليست الحال كذلك فان مجلة العلم الاميركية شهرية وهي اصغر من المقتطف واغلى منهُ لان قيمة الاشتراك فيها ستة ريالات او ١٢٠ غرشاً في السنة ومع ذلك لا يقوم دخلها بنفقاتها مع انها اشهر مجلة علمية في الدنيا و يكتب فيها اعلم علماء اميركا وقد مرَّ على صدورها حتى الآن ٩٨ سنة . ومجلة العلم التي تبلغ خسارة اصحابها ثمانية آلاف ريال في السنة كما تقدم اسبوعيةٌ ولكن لا تزيد صفحاتها في الشهر على ١٤٠ صفحة مع ان قيمة الاشتراك فيها خمسة ريالات في السنة عدا اجرة البريد

فان كانت حكومات الامم الراقية تنفق النفقات الطائلة على معاهد التعليم والتهذيب وعلى مشاهد النزهة والتسلية فاحرى بها ان تنفق مثل ذلك على المجلات العلمية اذا تحققت فائدتها لشعبها وهي الرابحة ان لسلت لانهُ ما من مال ينفق في سبيل من السبل و يكون ربحهُ اكثر من ربح المال الذي ينفق في سبيل التعليم . فلو وسعت الحكومة المصرية مدرستها الطبيةَ منذ ثلاثين سنة حتى تسع مضاعف ما تسعهُ الآن واكثرت من المدارس الزراعية وساعدت المجلات العلمية وانفقت على ذلك كله مئة الف جنيه كل سنة فوق ما تنفقهُ الآن لجنت البلاد مما زاد في صحة سكانها وربح اطيانها ما يساوي ملايين كثيرة من الجنيهات

الا ان ما فاتنا في الماضي نرجو ان لا يفوتنا في المستقبل لاسيما وقد جلس على عرش مصر سلطان يعلم فائدة العلم و يهتم بنشره وتعزيزه ولا بدَّ من ان يحذو رجال حكومته حذوهُ و يعملوا برأيهِ